

ما قبل القول

أ.ج. غريماس واللّسانيّات الفرنسيّة*

توما. ف. برودن

ترجمة: رشيد بن مالك

مركز البحث العلمي والتّقنيّ

لتطوير اللّغة العربيّة

• انتقاء النّصوص

يقترح هذا الكتاب على القارئ كتابات "أ. ج. غريماس" في مرحلة شبابه، والتي كانت تعنى بتجلية المنظورات النظرية والمنهجية المختلفة عن تلك المعروفة عنه في تحليله البنيوي للخطاب والسيمائية¹. إن النصوص التي احتفظنا بها تسمح بتتبع المسار العلمي الذي قاد الباحث خلال خمسة عشر سنة (1948-1963) من الدراسة التاريخية والاجتماعية للمفردات الفرنسية إلى البنيوية التاريخية، ثم الدلالية البنيوية. نأمل أن تحرك هذه العينة الحاجة إلى جزء ثان يضم الدراسات اللسانية الأخرى للعالم والتي يعود تاريخها إلى الحقبة نفسها.

*- هذا النص مأخوذ من كتاب : A. J. Greimas, La mode en 1830, PUF, Paris, 2000

ترجم من: الصفحة XXVII إلى، الصفحة XLIV.

مقدمة "م. أريفي"

تصديرًا لهذه المجموعة، نحيل الكلمة إلى "م. أريفي"، وهو باحث ما لبثت نصوصه تحاور مؤلفات "أ. ج. غريماس" منذ أزيد من ثلاثة عقود. ولكل واحد من النصوص ينتصب المقدم نفسه، ليؤرخ لعلوم اللغة متسائلًا حول إدماج الدراسة -وكاتبها- ضمن تطور المعارف والأحداث. ليس فقط لأن المحاولة تحدد التأثيرات الفكرية الجمعية التي أسهمت في صياغة نص مفتاح مثل "راهنية السوسيرية"، بل لأنها تحلل بوجه خاص وبدقة مخصصة الاستعمال الذي يتخذه في ذلك الكاتب. وبوصفه عالما مقتتعا، فإنه قام بتقويم المنهجيات المجاورة وبحوثه الخاصة السابقة، وذلك بالنظر إلى مشروعه العلمي الحالي؛ ونادرا ما كان يتعامل مع باحثين آخرين بطريقة بسيطة، مستشهدا في الغالب باسم وهو يفكر في اسم آخر ظل محجوبا، مستعيرا أحيانا مصطلحات وسحر صورة معروفة محوًا بذلك المفاهيم المطوّعة تبعا لتفكيره الخاص.

• "الموضة في 1830" (1948)

ظلت رسالتا الدكتوراه اللتان ناقشهما "أ. ج. غريماس" بالسوربون في 1948 من دون نشر حتى سنة 2000، عندما قام تلامذته بطبعهما بعد وفاته في المطبوعات الجامعية الفرنسية. وتتفحص هذه الدراسات المطولة الوحيدة قبل ظهور البنيوية الدلالية² بالتفصيل مفردات موضة الاستعراش من خلال وصف المزينة الأنيقة وتحليل الألفاظ الوصفية والمثمنة التي تحيل عليها، ومناقشة الظواهر الاقتصادية، الاجتماعية والأخلاقية التي تمارس تأثيرا حاسما في هذا المجال. تشكل الأطروحتان بتقديمهما المنهجي والمهم لهذا المعجم، وبعده وتنوع المصادر المراجعة بدقة، إسهاما في تاريخ الموضة والحياة الاجتماعية واللغة، وتبرزان مجهودات مرحلة ما بعد الحرب الهادفة إلى تجديد البحوث في المفردات الفرنسية.

إن الأطروحة الأساسية، "الموضة في 1830"، "محاولة لوصف المفردات الثيابية من خلال صحف الموضات لتلك الحقبة"، تسهم في إعداد معجم موسوعي حقيقي مسخر لجرد وتحليل ما يزيد عن ثلاث آلاف كلمة ومناقشة معناها واستعمالها وأصلها. وإذا كانت المظاهر التطبيقية والجمالية للسلع (حماية، حياء، حلية) والتأريخ للكلمات كثيرا ما تثير اهتمام المحلل، فإن هذا النص يعقد أهمية خاصة للإشارة الاجتماعية للألبسة والتعابير ساعيا في ذلك إلى توضيح الإيحاءات الاجتماعية التي ترتبط بقطع النسيج المختلفة والألوان والتسميات والنوع. كما يوضح ذلك التمهيد، فإن الأسماء المذكورة هي أقل ارتباطا بتعابير الحرفيين المسكوكة (الدكانيون، البياضيات، الخياطون) أو فئات تاريخية خاصة (أرستقراطية السيف القديمة، الأغنياء الجدد) منها إلى "البيجماعة" المشكلة من مزيج ممثلي عدد مهم من هذه الأوساط في النشاطات المرتبطة بالموضة، وذلك في أثناء اختيار وشراء السلع، أو خلال انعقاد جمعيات وتظاهرات اجتماعية. من جهة أخرى، إذا كانت الألبسة واتساقها وتنظيمها تهم كثيرا الشخص الذي يتخذ لنفسه ظاهرا متميزا في العالم ومن ثم كاتب الأطروحة، فإن هذه تخصص بقدر متكافئ اهتماما كبيرا لأشكال الحلاقات ومنتجات الجمال واللوازم والقماش وأنواع وأساليب الألبسة بحصر المعنى³.

إن القيمة العلمية لدراسة "أ. ج. غريماس" تنهض أساسا على توثيقها الأصيل والغزير الذي يتتبعه العرض عن كتب. وهذا التوثيق صادر عن جرد منهجي لست صحف خاصة بالموضة، وكتب عديدة مختصرة حول الفنون (تطريز، حلاقة، سكافة، خياطة، ربطات العنق، آداب السلوك، إلخ.)، الروايات والمحاولات والمذكرات ومفكرات السفر. وتعد "صحيفة السيدات والموضات" لـ "م. لاميسنجير" (M. Lamésangère) مصدرا متميزا: راجت في 1797 واستمرت في الظهور حتى 1839، وكانت تصدر في الحقبة التي

تهمنا، كل خمسة أيام، أبوابها ولوحاتها تصف بالتفصيل غنى وتطورات
الموضة خلال سنوات الاستعراش. إن حقل الأطروحة الكرونولوجي المحدد
يسمح بتسجيل لا الشكل النوعي للجديد في الموضة فحسب، بل إنه يتيح
أيضا تقييد تجسيدات الخاصة مع التسميات المناسبة. تساعد الأمثلة
الموجودة في الكتاب على جعل التقديم واقعا قدر المستطاع. وقد كان "أ.ج.
غريماس" ينوي إضافتها إلى النسخة المنشورة، دون أن يحدد آيا منها،
واستحسن الناشر أن يختارها بنفسه من الجرائد والكتب الوجيزة التي
تشكل المدونة.

إن المناقشات الدقيقة المتضمنة في الأطروحة تجعل منها كتابا
مرجعيا مفيدا، ومادة أولية مسخرة أيضا للدراسات الجمالية والمقارنة
التي استغلتها، والتي قام بها المعجميون والسوسيولوجيون، والمؤرخون ونقاد
الأدب (الأطروحة الثانوية باشرت هذا الاستغلال). وقد استعرضت الخاتمة
مختلف الإجراءات اللسانية في تشكيل كلمات الموضة، أما الفهرست فإنه
عبارة عن جرد لـ : 348 اسما خاصا باللون والمحددة في المتن، 271 نوعا من
الأزهار المستعملة في الحلي، 468 نوعا من الأقمشة، 29 نوعا في التطريز،
وتتضمن البيبليوغرافيا 17 معجما في اللغة أطلع عليها "غريماس" وتشتمل
على ستة كتب مختصرة في تسريح الشعر واتني عشر حول الأنجلومانيا
والنكلزة، دون أن ننسى دراستين حول الزرافة التي أهداها باشا مصر إلى
شارل X في 1827 والتي كانت مصدر إلهام لعدد مدهش من المستحدثات.

إن الأطروحة الثانوية، "بعض انعكاسات الحياة الاجتماعية في
1830 في مفردات الموضة لتلك الحقبة"⁴، تبين كيف أن ثلاثة اتجاهات :
الرومانسية، الأنجلومانية والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي جاءت
بها الثورة والثورة الصناعية، لعبت دورا متميزا في تشكيل معجم الموضة
خلال الاستعراش. ومن ثم، وإزاء الدراسات التي توصي بنظريات عالمية

ومستقلة للموضة والتي من أجلها يكون تطور هذه الأخيرة بشكل مستقل عن التاريخ وبالنظر إلى تبادلات المقاييس الداخلية الثابتة ("كروبيير"، "بارث"⁵)، فإن كل شيء في "الموضة في 1830" يؤكد على أن التزيين المتميز والخطاب الذي يمجده يتواصلان بشكل حميمي مع التاريخ والثقافة. إن تكاثر مطبوعات القماش المتنوعة أكثر فأكثر يعد شاهدا على الاختراع ولا سيما انتشار حرف نسيج جديدة⁶ -ونحن نعلم أن النسيج كان واحدا من القطاعات التي حولتها الثورة الصناعية، وقد تمخض عن ذلك دمقرطة دالة للموضة- على نحو ما نلاحظ ذلك في غزارة الأزهار المتنوعة في التزيين والتي نحت في اتجاه تطوير البستنة والتعصير بفرنسا ثم صناعة الأزهار الاصطناعية⁷. على صعيد الحساسيات، فإن الخطوة التي نالها ما وراء المانش ظهرت في عدد غير قليل من اقتراحات الأناقة الإنجليزية (emprunts fashionables)⁸. المعطف هو بطبيعة الحال أرقى من الرداء وتتجلى العلمية (الجديدة) في استغلال الجذور الإغريقية واللاتينية⁹ (قارن pommade mélaïnocome, perruque pélogène)، في حين أننا نلمس الذوق الرومانسي الميال إلى الغريب¹⁰ في ربطة العنق بالناب، خمار الرئيس (à l'Inca) (أعطي هذا الاسم إلى القوة السياسية في البيرو التي أقامها رؤساء العشائر لبعض القبائل الأنديية (Andes) قبل الغزو الإسباني) ولون داي الجزائر، على نحو ما نلاحظ الحنين إلى فرنسا القديمة مجسدا في تعبير سلسلة سيدة القصر (chaîne châtelaine) والخاتم الريليزي (rabelaisienne)¹¹. إن هذه الإمكانية في تحليل الآليات الاجتماعية من منطلق خطاب الموضة استرعت انتباه "رولان بارث" فكانت في البداية مصدر إلهام دراساته المعجمية في هذا الموضوع، وبحوثه في نظام الموضة لاحقا¹².

لماذا وقع الاختيار على سنة 1830 ؟ في محاولته إنجاز "تاريخ اللغة الفرنسية" لـ "فرديناند برينو" (Ferdinand Brunot)، كلف "شارل برينو" (Charles Brunot) المشرف على الأطروحة الأساسية لغريماس طلبته باختيار موضوعات تعنى بالتقريب عن مفردات القرن XIX. إن "جورج ماتوري" (Georges Matoré) الذي تعرف إليه "غريماس" في أثناء تحضيره الموضة في 1830، كان قد ناقش في 1946 أطروحة في النشر حول "تيوفيل غوتيي" (Théophile Gautier)، وفي أثناء سنوات الحرب، حل طلبية آخرون "شاتوبريان" (Chateaubriand)، "هوسمان" (Huysmans) وتطور مفردات السكك الحديدية¹³. ومن جهة أخرى، وعلى صعيد تاريخ اللباس، ربما تكون موضوعات الذكور والإناث في حقبة الاستعراش الأولى من نوعها التي أشارت بوضوح إلى التحولات التي سيعرفها اللباس الغربي الحديث¹⁴. البنطلون والجوخ أزاحا السروال ونسيج الحرير فيما اتصلت الرفاهية بالرغبة في الأناقة¹⁵، ومن ثم فإن التحالف الأساسي الذي يعد في غاية الحداثة تجلى حقيقة في مجال الموضة. وقد تميز الموسم 1829-1830 بشكل خاص بظهور صحف جديدة في الموضة ذات النوعية الراقية. نذكر منها الموضة حيث يقدم "بالزاك" (Balzac) "ميثاق الحياة الأنيقة" في خمسة أعداد¹⁶ والتي تضمن أوصافا مقدمة خصيصا لإنتاجات هذه السنة.

ما الذي كان يمنع من طبع الأطروحتين قبل هذا اليوم ؟ إذا كان "أ. ج. غريماس" -كما ذكر ذلك منذ عهد قريب صديقه "بيرنار كيما" (Bernard Quemada)¹⁷؛ الذي يعدّ من المعجميين المجدّدين في تلك الحقبة- يحتفظ دائما بهذه الرغبة في أن يرى معطيات الموضة في 1830 توضع تحت تصرف الباحثين، مباشرة بعد مناقشة الأطروحتين، فإنه اتخذ موقفا غامضا تجاه دراسته الخاصة التي كانت تمثل بالنسبة إليه وبكل تأكيد عملا فيلولوجيا جادا ومجهودا بذله في سبيل تجديد المعجمية، ولكنه، من جهة أخرى، ولما

كانت أفكاره تتطور بشكل سريع، فإن هذا الإنجاز أضحى يشي بمبادئ في التحليل لم يكن مقتنعا بها. وتضاف إلى هذا الاعتبارات المادية. التي كانت تقف أيضا وراء الدوافع الفكرية. كانت الحاجة إلى الوقت ماسة لانتعاش الحياة الاقتصادية بفرنسا بعد 1945، ثم إن صناعة الكتاب ظلت دائما متأثرة بجاهزية الورق والحبر والسعر المخصص لهما¹⁸. وبحصوله على الدكتوراه، لقي "أ.ج. غريماس" منصبا جامعا بالإسكندرية وأقام مع عائلته بمصر؛ ولم يوفق في نشر كتابه في إقامته الجديدة¹⁹.

ما هي الأسباب التي تقف وراء طبع أطروحته نصف قرن بعد المناقشة؟ كان الموضوع آنذاك يتسم بالأصالة في السياق العلمي لما بعد الحرب، وقد ظهرت منذ ذلك الحين أعمال كثيرة حول اللباس الفرنسي في القرن XIX وتطور الموضة الحديث، والذوق، والعناية بالجسم²⁰. غير أنه وإن كانت بعض المناقشات كتلك المتعلقة بتنظيف الجسم أو السياقات السوسيو-اقتصادية التي تحكم الموضة، استفادت من المؤلفات الراهنة، فإننا نعتقد أن الدراسة حول الموضة بتحديد الكرونولوجي الدقيق وتوثيقها المهم ومنظورها اللساني، تشكل إسهاما حاسما. ومن جهة أخرى، فإنها يمكن أن تفيدنا حول تشكل صورة المثقف المهمة كما سنرى ذلك في موضع آخر وحول تطور علوم اللغة والعلوم الإنسانية أيضا وذلك بالنظر إلى أن الأطروحتين تم إنجازهما في مرحلة انتقالية بين المنهجية التاريخية والممارسة البنيوية، وتمحطان من هذين المستبدلين. سنفحص لاحقا وبشكل مطول التجديد الذي يقدمه تصور ومنهجية الرسالتين.

• "راهنية السوسيرية" (1956)²¹

إذا لم نعرض على القارئ أي نص لغريماس منشور بعد أطروحته وقبل هذه الدراسة التي ظهرت ثماني سنوات فيما بعد، فلأن هذه المرحلة

لم تكن ثرية للباحث على الأقل من حيث الصفحات المنشورة. وبالتعاون مع "جورج ماتوري"، انصرف المجهود في سبيل إنجاز منهجية دلالة الألفاظ المتعددة التخصصات والتي تجمع بين اللسانيات الرائدة والمنظورات التاريخية والسوسيولوجية، لكن، وعلى الرغم من نفوذ البصر والحماس البادي في المنشور الموقع من العالمين (1948-1950)²²، فإنه فشل في مشروع تحليل مفردات الرسم²³ بطريقة نسقية، فابتعد عن علم دلالة الألفاظ الماتوريسي.

تعلن "راهنية السوسيرية" عن تبني "غريماس" (A.J. Greimas) البنيوية التاريخية. وتفسر المحاولة كيف يمكن لبعض المسلمات السوسيرية، شريطة أن يعاد تأويلها على ضوء "هيلمسليف" (Hjelmslev) و"جاكوبسون" (Jakobson)، أن تساعد على إرساء قواعد تحليل بنيوي للمجموعات الخطابية المميزة للمجتمع، من جهة، ومن جهة أخرى، للتعايير الاجتماعية غير اللغوية (فنون، موسيقى) في إطار "سيمولوجية عامة". وفي الوقت نفسه، تنفي الدراسة الشمولية البنيوية وتؤكد على ضرورة إدراك صيرورة اللسان بإعادة تلحيم المرامي السانكرونية والدياكرونية. إن الفيلولوجيين "التقليديين" واللسانيين البنيويين مدعوون للعمل معا تحت رعاية المقاربة الجمالية. ومن الواضح أن القارئ المتعود على أعمال "أ. ج. غريماس" اللاحقة سيندهش إزاء الاهتمام الحقيقي المعلن بتاريخ اللغات والثقافات والمحرك لبحوثه منذ عشر سنوات، وهذا ما تؤكد نصوص أخرى نشرها في الحقبة نفسها²⁴.

في دراسة 1956، سيتوسع المشروع المعجمي الهادف إلى وصف تاريخ المجتمعات²⁵ من خلال المفردات ليشمل اللسان في كليته، وسيكون مفتوحا على قواعد نظرية وطرق منهجية جديدة لاحظ "أ. ج. غريماس" إنتاجيتها في أعمال "كلود ليفي ستروس" (Claude Lévi- Strauss) وبعض

التأملات الفلسفية لـ "موريس ميرلو بونتي" (Maurice Merleau-Ponty). إن "غريماس" الذي اتخذ مسافة معينة إزاء العصامية التي تكون أحيانا إيجابية وأكد نداه الموجه في المنشور المعجمي، وجّه دعوة للسانين الفرنسيين لتعميق تفكيرهم الإيبستيمولوجي وإنجاز نظرية لسانية شاملة بينة، "نظرية اللغة". وقد صرح بها في موضع آخر في السنة نفسها معلنا بذلك عن توجهه الهيالسليفي²⁶. تضم "راهنية السوسيرية" مجموعة من المنظورات والمفاهيم والمراجع العلمية انتقى من بينها، على سبيل المثال، وبشكل تدريجي فيما بعد السانكرونية والدياكرونية، البنية والتاريخ، العلامة (السوسيرية) والعلاقة (السوسيرية والهيالسلافية)، "جاكوبسون" و"هيالسليف".

• "كيف تحدد النكرات؟" (1963)²⁷

تظل هذه الدراسة التي تفرض نفسها اليوم بصرامتها وسعة طريقتها واحدة من التوصيفات اللسانية الأكثر طموحا التي حققها "أ. ج. غريماس". وعلى أثر "جاكوبسون" الذي كيّف مبادئ التحليل الفونولوجي²⁸ على الصيغة التركيبية بهدف الوقوف عند المعالجة الآلية للروسية، فإن هذه الدراسة تبين أننا في افتراضنا عددا محددا من السمات والعلاقات الدلالية، يمكن أن نمارس وصفا قابلا لحوسبة²⁹ مجموعة من الكلمات ذات وظيفة تركيبية شبيهة بما سبق ودلالية مائة إلى ما ذكر. إن هذا النص المستلهم مباشرة من "فيكو برونдал" (Viggo Brondal)³⁰ يعلن عن الكيفية التي فكر بها "غريماس" لتجاوز حدود الخطة الوصفية السابقة وتلك المتعلقة بدلالة الألفاظ التقليدية متوسعا في التحليل ليشمل الكلمات من جانب إلى آخر. حول ثلاث نقاط رئيسية في "كيف تحدد النكرات؟" (1963)، تتباعد الوضعيات المتضمنة في "راهنية السوسيرية" (1956) سبع سنوات خلت

معمقة، فإن حضور المنظور التاريخي ظل ضعيفا (ولكن غير غائب). ثانيا، إن الدراسة لا تلتزم أبدا الصورة السوسيرية للعلامة الممجة بكثرة في الدراسة البنيوية الأولية: وعوض أن تظل ملتزمة بحكمة بالدال، فإن المدلول يتشظى إلى كيانات شكلية جمعية (سمات، عملية، تركيب داخلي) وقد يحدث أن تنقسم المفردة الواحد إلى مشتركات لفظية دلالية (نفس الإنسان، الإنسان نفسه). إن الأعمال اللاحقة لا تتوقف عند إبراز الانزياحات والانزلاقات والاضطرابات وتخفيفات المقامات التي تتدخل بين الدال والمدلول. ثالثا، إن الكلام وعلاماته تتحول إلى ظاهر إزاء صعيد دلالي بانكروني : إن الهدف ينتقل من الأمبريقي إلى الاستعلائي بحثا عن الشروط العامة لإنتاج وإدراك الدلالة³¹. وقد تزايد التطور بشكل كبير في الدلالية البنيوية (Sémantique structurale) و"في المعنى .محاولات سيميائية"³² (Du sens . Essais émiotiques).

• "النكرات ثانية" لـ "م. أريفي" (1965)³³

إن العرض المرصوص لـ "ميشال أريفي" (Michel Arrivé) الذي يأتي امتدادا للدراسة السابقة ونقدا لأسسها يثير بطريقة خاصة ومبتسرة سؤالا سيظل في مركز المناقشات الكثيرة حول أعمال "أ. ج. غريماس"، ونعني بذلك مكانة وصلاحيه وحدود البنيات الدلالية المحايثة. ويرتكز هذا النقاش تارة على التمييز الهياكلسلافي بين "ماهية" و"شكل" المضمون على نحو ما يقع هنا، وطورا على الأدوار الخاصة المسندة إلى الدلالية والتركيبية، الاستتباط والاستقراء، والنظرية والتطبيق. إن دراستي العالمين تدعوان معا إلى المقارنة بين الطريقة التي تتعرض بها اللسانيات القارية لإشكالية المعنى، والمقاربة التي تفضلها راهنا الدلالية اللسانية الشكلية ذات المصدر الإلهامي الشومسكي، والقريبة جدا من منطق الشروط التصديقية

وإشكاليته المرجعية الخاصة³⁴. بطريقة عامة جدا، وفضلا عن مزاياه الملازمة، يقدم "النكرات ثنائية" عينة من الأصداء المهمة التي كانت لبحوث "أ. ج. غريماس" في الدلالية البنيوية، والمتوازية مع تلك التي قام بها "بيرنار بوتتي" (Bernard Pottier) و"أوجين كوزيريو" (Eugen Coseriu)³⁵.

إن القارئ المهتم يلقي في مواضع أخرى تلخيصات وملاحظات مفصلة للمؤلف اللاحق لـ "أ. ج. غريماس"³⁶. سنكتفي بالتذكير بأنه لا ينبغي أن نستنتج من التطور العلمي الذي عاشه العالم -وفي خطوطه العريضة نسبة كبيرة من باحثي جيله الآخرين- أن التوجهات العامة والنتائج المحققة في مختلف المراحل لا قيمة لها، وأن نظامها لا يفرض بشيء آخر غير مجرى التاريخ، وتظل المتوازية المعكوسة هي أيضا منطقية (وراهنة أيضا). إن بحوث "فرانسوا راستي" (François Rastier) أو "جاكلين بيكوش" (Jacqueline Picoche)³⁷ توضح، بما فيه الكفاية، وكل واحد بحسب طريقته، مثلا، راهنية دلالية بنيوية ذات مكون معجمي قوي. ومن سخریات التخطيط المتعرج للأحداث، فإن "الموضة في 1830" ومشروع المعجمية الاجتماعية والتاريخية يمكن أن يبدوا طليعيين على غرار الدلالية أو السيميائية الفرنسيين المتواصلتين. من جهة أخرى، إذا ظل الخطاب والخطوة والمفترضات وأهداف السيميائية، لاعتبارات عديدة، معاكسة لأعمال "أ. ج. غريماس" الأولى، فإننا لا نستطيع أن نفهم تطورها خارج هذه وبقطع النظر عن مشاريعها الجماعية والمتعددة التخصصات التي تكون منطلقاتها علوم اللغة المسخرة لإنجاز منهجية تدرس الظواهر الثقافية وفق خاصيتها الدلالية.

إن الاختلافات -من حيث اللون المنهجي- التي يمكن أن نستقيها من نصوص "أ. ج. غريماس" المجموعة هنا وأعماله التي تمثل مرحلة النضج

والاهتمام المولى للمفردة. في الوقت الذي كانت الدراسات النحوية بكل توجهاتها البيئة تقصي المفردات أو تختزلها إلى قائمة ثابتة وجاهزة، نازعة في ذلك إلى تفضيل التركيب الشكلي للجملة، فإن كاتب "موبسان" (Maupassant) "في المعنى II"³⁸ (Du sens II) لم ينكر أبداً الاكتظاظ اللفظي للخطاب ولا التعددية الدلالية للعلامة الذي عمل على تجليتها ابتداء من "الموضة في 1830". إن الإجراءات المعجمية التي تحكم أطروحته الأساسية لا تلقي بظلالها فقط على معجم الفرنسية القديمة ومعجم الفرنسية الوسيطة³⁹، ولكنها تبسطها أيضاً على مؤلفه الميتالغوي "المعجم السيميائي" الذي يتخذ كتاباً مرجعياً لهذه النظرية⁴⁰. إن الهدف من وصف فضاء ثقافي هام وموضح بما فيه الكفاية في هذا الكتاب، سيظهر من جديد في نصوص لاحقة⁴¹. وقد يحدث أن تعيد هذه تناول موضوعات دقيقة مناقشة في الرسالتين: نلقى صدى وصف الروح الرومانسية التي تسعى إلى مخادعة الملل الذي نقرؤه في الأطروحة الثانية، في التحري الحديث عن تحويل اللحظات المتميزة المثيرة إلى شعرنة الحياة اليومية التي يستحضرها بعديا (De l'imperfection) من نحو أربعين سنة⁴². إن مؤلف "أ. ج. غريماس" يكشف عن تحرر متواصل واهتمامات ثابتة حتى وإن عرفت تغيرات دالة من حيث الاتجاه.

• منهجية "الموضة في 1830"

إنها تشبه قليلاً أطروحات الأدب التي سبقتها، وقد تركت مناقشتها صدى في مجال دراسات اللغة الفرنسية. تلقى "غريماس" تكوينه في الفيلولوجيا الرومانية (romane) بجامعة قرونويل تحت رعاية "أنطونين دورافور" (Antonin Durauffour)، وفي أثناء تسجيله في موضوع حول الموضة تحت إشراف "شارل برونو" (Charles Bruneau)، ابتعد "غريماس" عن علم

اللهجات والفرنسية القديمة، واقتحم مجالا خاصا في دراسة المفردات. وعلى الرغم من تداخلها سواء في الجانب النظري أو الجانب التطبيقي، يمكن أن نميز بين ثلاثة تقاليد فرنسية في الدلالية الفرنسية لما قبل الحرب العالمية الأولى : تولي الأولى أهمية للفكر الإنساني (م. بريال - M. Bréal)، وتؤكد الثانية على المنظور السوسولوجي (أ. ميي - A. Meillet) أما الثالثة، فإنها تنهض على الكلمة بوصفها كيانا حيا (أ. دارميسيتير - A. Darmesteter)⁴³. وينبغي أن نلاحظ أيضا أن المنظور الأخير ظل مهيمنًا على الدراسات المعجمية بعد الحرب العالمية الثانية. ولما كان هذا الأخير مستوحى من مستبدل التاريخ الطبيعي للقرن السابق وناهضا على "حياة الكلمات"⁴⁴، فإن تصوره مشيد على المفردات بوصفها مجموعة من الكلمات التي تولد وتؤسس عائلات وتموت. وقد تمثل إسهامه القيم في استنباط الآليات التي تبرز تغيرات الاستعمال التي تتلقاها المفردات الفردية، وهذه الآليات التي يستفاد منها في اللسانيات والدلالية والتاريخ والبلاغة وعلم النفس تمس في نقاط عديدة البحوث الموازية لـ "ميشال بريال". على الرغم من الشروحات المثيرة التي وضعت، فإن المعطيات كانت ناقصة للتصدي لعدد غير قليل من الكلمات الفرنسية، وقد بدت المهمة صعبة بخصوص الانتقال من تحليل التعابير المعزولة إلى الخاصيات العامة للمعجم والاتجاهات التي كانت في طور التشكيل.

إن النموذج التقليدي للأطروحة بالسوربون الذي كان معروضا على "أ. ج. غريماس" يجمع، على وجه الدقة، بين تحليل المفردات والأسلوبية الأدبية : من منطلقات المبدأ القائل إن الكتاب الاستثنائيين يمارسون تأثيرا حاسما في تطور الفرنسية، فإن الدراسات كانت تشرح "لغة" الكاتب، عاملة في ذلك على جرد طرافتها ومستحدثاتها المعجمية مع النزوع إلى المؤلفات عوضا عن الكلمة الفنية أه تلك المضمعة قبل البحث (المعجم،

ج. ك. هيوسمان، قوتي الصغير⁴⁵). وقد اتخذت معاجم تلك الفترة معيارا للبت في هذه الانزياحات والتجديدات. ومن الواضح أن النتائج المسخرة لاحتلال حيز في المعجم التاريخي الجديد للفرنسية الذي كان في طور الإنجاز (ليتري الجديد)⁴⁶، تعرض في شكل قوائم أبجدية للكلمات الشهيرة المرفقة بالشواهد والمرتبة وفق عملية الاشتقاق أو الاقتراض.

عزف "أ. ج. غريماس" عن المقاربة المستعملة، وضم جهوده إلى الباحثين الذين كانوا يهتمون بتجديد المعجمية بتقريبها من اللسانيات المعاصرة، من جهة، بتعميق التحليل التاريخي للمفردات، ومن جهة أخرى باتخاذهم الاستعمال الجماعي لا الفردي موضوعا للدراسة معربين بهذا التوجه عن ولائهم لتقليد أنتوان ميبلي. إن عددا كبيرا من الطلبة الذين ناقشوا أطروحات الآداب بالسوربون بعد الحرب يشتركون في هذه الأهداف التي لم يتكرر لها أيضا بعض الباحثين المعروفين، نذكر منهم "روبير-لييون وانيير" (Robert Léon Wagner) الذي أشرف على الأطروحة الثانية لـ "أ. ج. غريماس".

وإذا كان المجددون متفقين على ضرورة رفع وتوسيع جرد نصوص الماضي للحصول على أحسن المعطيات، فإنهم عزفوا عن الرجوع إلى المعاجم القديمة أو الحديثة لتثبيت الاستعمال⁴⁷. في المونوغرافيا المخصصة لمفردات الطب بين 1600 و 1710، عاين "بيرنار كيمادا" 600 كلمة على وجه التقريب تبدأ بالحرف "a" وتظهر بانتظام في الكتب الموجزة والدلائل (guides) الطبية المألوفة في تلك الحقبة، غير أنها لم ترد في أي معجم في اللغة الفرنسية، من "ريشيلي" (Richelet) إلى "فيريتيير" (Furetière) في القرن السابع عشر وانتهاء بـ "لاروس" (Larousse) في القرن العشرين⁴⁸. في اقتفائهم آثار الفيلولوجيين "أ. دالبول" (A. Delboulle) و "ك. بالدنسبيرجير" (K. Baldensperger) و "أ. و. ويل" (A. Weil)، قام المعجميون الجدد كـ "ج. ماتوري" و "أ. ج. غريماس" و "ب. كيمادا" بنشر قوائم تعديلات المعجم

الاشتقاقي لـ"ألبيير دوزاة" (Albert Dauzat) في المجلة التي ينشطها هذا الأخير، الفرنسية المعاصرة ⁴⁹ (Le Français Moderne).

احتضنت البحوث المعجمية الجديدة في أثناء تخليها عن الأسلوبية الأدبية قسما من الاستعمال في غاية الأهمية وبذل أصحابها كل ما في وسعهم لوضع اللغة في سياقها الاجتماعي. وقد توسعت دراسات "فرازير ماك كانزي" (Frazer Mac Kenzie) و"جورج ماتوي" في المتن لاستحضار الوسط الجمالي واللساني للحقبة المدروسة، في حين أن أعمال المعجمية القروسطية لـ"ك. ج. هوليمان" (K.J. Hollyman) و"ستيوارت سكونس" (Stewart Scoones) استلهمت من الحوليات لتحليل كلمات مفتاحية مربوطة بالأرض والملكية والطبقات الاجتماعية والأدوار الاقتصادية (...)⁵⁰. إن أطروحة "بيتر. ج. ويكلير" (Peter J. Wexler) حول مفردات السكك الحديدية والمناقشة بجامعة السوربون سنة بعد تلك التي ناقشها "أ. ج. غريماس"، تدرس الطريقة التي يقود بها التجديد التكنولوجي وتطور الحياة المادية الجماعية إلى تغييرات كبيرة في المعجم⁵¹.

وإزاء الدراسات التقليدية، تحدد "الموضوعة في 1830" ديناميكية اجتماعية خاصة وتعمل على جرد متن مهم وتمثيلي للموضوع (عكس مؤلف الكاتب الواحد)، وتسعى إلى عرض الظاهرة الثقافية ومفرداتها في شكل مناقشة مدعمة مرتبطة قبل كل شيء ببعدها الدلالي (عكس القوائم الأبجدية والترتيبات المورفولوجية) وتعين كلمات المجال المختار الدالة (عكس انزياحات الاستعمال المعزولة أو عدد قليل من التعابير المهمة)⁵². وفي الوقت نفسه، فإن "غريماس" لم ينزع نحو أي مقارنة من المقاربات الموجودة، ولكنه كان يسعى إلى الاستفادة من إجراءات ومبادئ التحليل المستمدة من التقاليد المتنوعة مع احتمال نقدها في بعض مظاهرها. ولقد

أفكاره المسخرة من أجل معجمية متألّفة مع تاريخ الحضارة الفرنسية تعطي فكرة بطريقة حاسمة عن الدراسة حول الموضة.

إن الفيلولوجيا الصارمة التي تعلمها بشكل جيد في "قرينوبل" رسّت في الفحص الحذر للمصادر الأولية في سياقها وفي الجمع الدقيق للشواهد والأمثلة العديدة. ومن ثم، فإن المعرفة التي عمل على تجليتها لا تتصرف عن سرد الحكاية القصيرة لا سيما إذا تعلق الأمر بتوضيح، مثلاً، أن "كارولين الصفراء" تمجد شعر "ماري كارولين دوقة بيري" كما يحيل رواج الأزرار والأجزاء المنقوشة والدبابيس والخواتم السيامية أو ريتا كريستينا على الأخوات السيامية ريتا وكريستينا بسردينيا⁵³. وفي الوقت الذي تتميز فيه عن الطبقات التي تكرر بوفاء استرجاع النصوص الهامة للعصور السابقة، فإن الدراسة حول الموضة تصرف كل اهتمامها لإنقاذ الخطاب من الضياع؛ وهو خطاب شائع ومتداول أيضاً.

تفترف "الموضة في 1830" من اللسانيات التاريخية، على وجه التحديد، الصادرة عن النحو المقارن الذي أحدث ثورة في علوم اللغة في القرن التاسع عشر وهذا على الرغم من الاحتجاجات الراجية في تفادي المنظور التاريخي الذي نقرأه في مقدمة الأطروحة الأساسية. إن خاتمة هذه الأطروحة تتبع عن كثب المنهج الذي أعده "أرسين دارمستيتير" (Arsène Darmesteter) لتحليل تشكل الكلمات، كما تجنح المقدمة إلى اللساني نفسه بهدف التأسيس لـ "علم تحول المعنى". إن الاستعمال الأول للكلمات في المدونة أو استعمالها النادر أو اختفاؤها غالباً ما يشار إليه على نحو ما يشار أيضاً إلى المراحل ذات التواتر الكبير. وفي مقابل ذلك، فإن الموضة في 1830 تنتقد "أ. دارمستيتير" وكل منظور يخضع المنهجية اللسانية إلى تلك المتعلقة بالعلوم الطبيعية، وهي وصاية نلحظها في التظاهرات المهمة في القرن الماضي :

في الوقت نفسه على تجلية موجة الأنجلومانيا التي عمت فرنسا في نهاية الحروب النابوليونية⁵⁹. وكما تحيل العبارة "الكلمة الشاهدة" على محاولة لـ"فرديناند برينو" (Ferdinand Brunot)⁶⁰، فإن الدراسة حول الموضة في مجموعها مستوحاة من الفحص الجمالي لتطور المفردات في سياقه الاجتماعي والذي توضحه المجلدات السابقة لـ"تاريخ اللغة الفرنسية" الذي حرره "برينو"⁶¹. إن "الموضة في 1830" في توجهها الاجتماعي كما في تحريرها عن معطيات المعجمية التاريخية والتي هي في غاية الأهمية والدقة والمتابعة، تتبنى الأهداف التي أعلن عنها وطورها "أ. ميبى" لإصلاح الاشتقاق⁶².

إلى جانب هذه المقاربات التي كانت تتميز بها البحوث في فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية، فإن "الموضة في 1830" يشي بجهود حديثة العهد مسخرة لتحليل مفردات حقبة بوصفها مجموعة سانكرونية مبنية. وقد اضطلع "أ.ج. غريماس" في مقدمة الأطروحة الأساسية بمهمة "الوصف القار لحالة لغة معطاة"، ويستند في ذلك إلى "جوست تريبي" (Jost Trier) عندما أخذ في الحساب تقديم دراسة تاريخية للغة بوصفها تحليلاً مقارناً قاراً وفق منظورات متقطعة⁶³. ولئن كانت الأطروحة تستلهم "جوست تريبي" و"والتر فون وارنبورغ" (Walter Von Wartburg) [التصنيفات المعجمية، "الحقول" اللسانية]⁶⁴، ومن ثم وبشكل مباشر "ف.دي سوسير" والنظرية الجستالتية، فإنها تسعى إلى تقديم معجم الموضة بوصفه كلاً منظماً: "ولما كانت دراستنا مخصصة لوصف لباس الرجل المتحضر في حقبة محددة، فإن هذه الألبسة لا تتقدم كخليط طارئ من العناصر المتنافرة، بل كوحدة عضوية تتجانس في صلبها الأجزاء المتنوعة للباس فيما بينها"⁶⁵.

إلى أي حد استطاعت الدراسة أن تؤلف المفردات المفحوصة مثلما هو الحال في الكل المنظم؟ في الأطروحة الأساسية، يتكفل الهيكل العام الموضوع في شكل خطة عقلانية ضمنية بالموضات الموصوفة، ويجزئها إلى

ألبسة ذكورية وألبسة أنثوية، ألبسة الداخل والخارج، والألبسة الظرفية وهكذا دواليك. إن العلاقات المحلية المتبادلة تعمل أيضا على ربط بعض المواد الثيابية: رفع التنورة (jupon) كان وراء النجاح الذي حققه المداس (حذاء كبير brodequin) الذي يمتد إلى العرقوب⁶⁶، في حين أن رواج الأكمام المنتفخة (manches à gigot) عطلت المعاطف ذات الأكمام لصالح القبعات (capes) المستديرة، الأوشحة (mantilles)، الفرويات (pelisses) والمعاطف بدون أكمام، والتي لا تعرض نطاق الكيميمات (le galbe des mancherons) الرهيفة للإتلاف. بصفة عامة، إن نفخ النطاق السفلي للصورة الأنثوية الأنيقة أدى إلى تزايد إضافي للمواد التي تشكل حدود الأعلى والتوسيعات المتوازنة التي توضحها صور الموضة بشكل كامل. بالإضافة إلى هذا، فإن منهجية الأطروحة الثانوية تعمل على إبراز تغييرات معجمية عديدة مستدعية في ذلك ثلاثة اتجاهات اجتماعية أساسية، رادة في ذلك أحداثا إيجابية متنوعة إلى التوليفة التفسيرية (synthèse explicative).

إن هذه المحاولات الساعية إلى توحيد وتنظيم خطاب الموضة تعلن قبلا عن الأهداف التي تقود الباحث إلى "راهنية السوسيرية". وفي الوقت نفسه، فإن النتائج التي انتهى إليها في الأطروحتين تبدو متواضعة، وينبغي أن ننتظر الأعمال اللاحقة التي تعد وحدها الكفيلة بفهم هذه النقائص وتجاوزها. وتتقدم "الموضة في 1830" بوصفها دراسة منجزة في منعطف حاسم لتطور علوم اللغة: فهي، من جهة، تأخذ في الحسبان إنجازات لسانيات القرن التاسع عشر، وتسهم، من جهة أخرى، في بناء المناهج التي أحدثت ثورة في القرن العشرين.

تقترب الدلالية البنيوية والسيمائية الغريماشية، في سعيها إلى موضوعة المبادئ البانية المقترحة داخل اللغة، من أعمال "ميشيل بريال" التي تؤكد على ثلاثة أبعاد أساسية للأعمال اللغوية: كنهها، شكلها،

الكتاب يوضح كيف أن "أ.ج. غريماس" خلال العشريتين التي تخللتها بحوثه، تبنى بالتناوب توجه كل تقليد من التقاليد الثلاثة الأساسية للدلالة الفرنسية: قسم من تاريخانية القرن السابق، تجددت مؤلفاته بفضل اتصاله بمنظور السوسولوجيا الفرنسية، ثم ازدهرت في أثناء تحريره عن أسس الفكر الإنساني.

الإحالات

- 1- نقدم شكرنا هنا إلى أولئك الذين رغبوا فعلا في قراءة نسخة من هذا النص وفي إيفادنا بتعليقاتهم واقتراحاتهم التي نعتبرها أحيانا مهمة جدا : أ.ج. غريماس، "ماجالي باروجيل" (Magalie Baroghel)، "بول بنحمو" (Paul Benhamou)، "ريد بنحمو" (Reed Benhamou)، "جيلبير د. شيتين" (Gilbert. D. Chaitin)، "آن إينو" (Anne Hénault)، "ك. ج. هوليمان" (K. J. Hollyman)، "جورج ماتوري" (Georges Matoré)، "بيرنار كيمادا" (Bernard Quemada)، "فرانسوا راستي" (François Rastier)، "فرانسواز رافو-كيركباتريك" (Françoise Ravaux-Kirkpatrick)، "آن فيولين" (Anne Violin) و "بيتر. ج. ويكسلير" (Peter. J. Wexler).
- 2- Sémantique structurale : Recherche de méthode, 1966, nouv. éd. Paris, PUF, 1986.
- 3- نذكر بأن "ج. أ. كيشرات" (J. E. Quicherat) سبق وأن لاحظ أن الممارسة الخاصة بتزيين الجسم -تصفيف الشعر، تخضيب ووشم الجلد، التحلية بأشياء تتمايل، تلمع وتحدث صوتا عندما نتقدم- ترتبط بتاريخ قديم جدا قياسا بتلك المتعلقة بارتداء الملابس؛ Jules- Etienne Quicherat, Histoire du costume français depuis les temps les plus reculés jusqu'à la fin du XVIII^{ème} siècle, Paris, Hachette, 1875, p.2-4 .
- 4- كان الكاتب يحرص على ظهور الأطروحة الأساسية ويخشى من سفسفة أطروحته الثانوية في أثناء تحريرها في اللحظة الأخيرة تحت إلحاح "شارل برينو" الذي طلب منه إنجاز أطروحة الدولة والعزوف عن أطروحة الجامعة.
- 5-Alfred Louis Kroeber, three Centuries of Women's Fashions, A Quantitative Analysis, Berkeley, University of California Press, 1940, et Roland Barthes, Le système de la mode, Paris, Le Seuil, 1967. Voir pour notre époque Ph. Perrot, Les dessus et les dessous de la bourgeoisie. Une histoire de vêtement au XIX^{ème} siècle, Paris, Fayard, 1981, p. 51-55.

ما قبل القول - أ. ج. غريماس واللسانيات الفرنسية

في هذا الكتاب، نلقى سبرا جادا في لوحات صحف الموضة الفرنسية بين 1830 و 1914، وهذا السبر هو بمثابة الرد المباشر على "أ. ل. كروبير" (A. L. Kroeber) من خلال إبرازه التامبوهات المتنوعة وغير المتساوية وذلك حسب المادة والتفاصيل الثيائية المفحوصة، حيث نلاحظ توافقات تكون أحيانا محدودة بين الموضة وتطور العادات والسياسة.

Cf. aussi Anne Hollander, *Seeing Through Clothes*, New York, Viking, 1978.

6- A.J. Greimas, ici même, p. 261-263.

7- Ibid., p. 83-84

8- Ibid., p. 287-292.

9- Ibid., p. 126 et 135.

10- Ibid., p. 278-282.

11- Ibid., p. 275-278.

12- Voir, par exemple, R. Barthes, «Histoire et sociologie du vêtement. Quelques observations méthodologiques», *Annales* 12.3 (1957), p. 430-441 ; *Le système de la mode*, op. cit. sur le rapport direct entre A.J. Greimas et les études lexicologiques sur la mode qu'effectua R. Barthes, voir Louis-Jean Calvet, Roland Barthes, 1915-1980, Paris, Flammarion, 1990.

13- G. Matoré, *Le vocabulaire de la prose littéraire de 1835 à 1845*, Théophile Gautier et ses premières œuvres en prose, doctorat d'Etat (lettres) de l'Université de Paris, 1946, publié en livre *Le vocabulaire et la société sous Louis-Philippe*, 1951, nouv. éd. Genève, Slatkine, 1967 ; J.-M. Gautier, Chateaubriand. De l'essai à l'itinéraire, étude de vocabulaire, doctorat ès lettres, Université de Paris, 1947 ; Marcel Cressot, *La phrase et le vocabulaire de J. k. Huysmans*. Contribution à l'histoire de la langue française pendant le dernier quart du XIX^{ème} siècle, doctorat d'Etat (lettres) de l'Université de Paris, 1939, publié en livre l'année précédente, Paris, Droz, 1938 ; Peter J. Wexler, *La formation du vocabulaire des chemins de fer en France (1778-1842)*, Genève, Droz, 1955 (doctorat ès lettres, Université de Paris, 1951).

14. Pour une bonne vue d'ensemble, voir Ph. Perrot, *Le travail des apparences ou les transformations du corps féminin*, XVIII-XIX^{ème} siècle, Paris, Le Seuil, 1984.

15- A. J. Greimas, ici même, p. 12 et 284-285.

16- Honoré de Balzac, «Traité de la vie élégante», *La Mode*, V (1830), numéro des 2, 9, 16 et 23 octobre et du 6 novembre, repris in *La comédie humaine*, vol. XIX : *Etudes analytiques*, Paris, Editions du Delta, «Bibliophiles de l'originale», 1968, p. 166-209; cf. vol. XXV^{ème}, 1973, p. 323-334.

- 17- B. Quemada, «Greimas lexicologue», *Nouveaux actes sémiotiques* (Limoges) 25 (1993), p. 49-50.
- 18- إن أطروحات الآداب لـ"ف. ماك كينزي" (1939)، "ج. م. قوتي" (1947)، و"ب. كيمادا" (1949)، كلها نوقشت بجامعة السوربون، وظلت على حالها دون أن تطبع؛ وقد نجح علماء آخرون في طبع رسائلهم، ولكن بشيء من التأخير: ناقش "ج. ماتوري" رسالته في 1946 ولم ينشرها إلا في سنة 1951، "ك. ج. هوليمان" (1950) ظهرت في 1957، أطروحة "س. سكونس" (1951) وطبعت في 1976.
- 19- هل يمكن أن نستحضر أيضا باعث الأمن ؟ شرعت الشرطة السوفيتية والفرنسية، بعد الحرب، في البحث عن كل الليتوانيين في الخارج لترحيل هؤلاء المواطنين الجدد رغما عنهم إلى الاتحاد السوفيتي، ويكون "أ. ج. غريماس" قد غير مقر إقامته مرات عديدة في الوقت الذي كان يحضر فيه أطروحته. وبالمقابل، فإن "آن إينو" أبلغتني أن "غريماس" كان يبرر دائما ذهابه إلى مصر لاعتبارات اقتصادية وليست سياسية. وفي حدود 1950 كان "غريماس" يتنقل وأفراد عائلته بحرية في فرنسا، ويقضي عطلة بالكوت دازور، وبيباريس أيضا (لزيارة رولان بارث: cf. L.-J. Calvet, Roland Barthes, (op. cit., p. 132).
- 20- Voir Philippe Perrot, *Le travail des apparences*, op. cit. ; Daniel Roche, *La culture des apparences. Une histoire du vêtement (XVIIe-XVIII^{ème} siècle)*, 1989, rééd. Paris, Le Seuil, coll. «Points», 1991 ; Ph. Perrot, *Les dessus et les dessous*, op. cit. ; Georges Vigarello, *Le propre et le sale. L'hygiène du corps depuis le Moyen Age*, 1985, rééd. Paris, Le Seuil, coll. «Points», 1992 ; cf. *On Fashion*, Shari Benstock et Suzanne Ferriss (dir.), New Brunswick, New Jersey, Rutgers University Press, 1994; Valerie Steele, *Paris Fashion: A Cultural History*, Oxford, Oxford University Press, 1988; et Anne Martin-Fugier, *La vie élégante ou la Formation du Tout-Paris, 1815-1848*, Paris, Le Seuil, coll. «Points-Histoire», 1993.
- 21- «L'actualité du saussurisme (à l'occasion du 40^{ème} anniversaire de la publication du Cours de linguistique générale)», *Le français moderne* 24 (1956), p. 191-203.
- 22- G. Matoré et A. J. Greimas, «La méthode en lexicologie. A propos de quelques thèses récentes», *Romanische Forschungen* 60 (1948), p. 411-419, et «La méthode en lexicologie II», *Romanische Forschungen* 62 (1950), p. 208-221.
- وقد عملت الروابط الشخصية والتضامن الفكري على التقريب بين الرجلين حتى أن زوجتيهما "آنا باغدوناس" (Anna Bagdonas) (غريماس) و"جان ماسيوكاس" (Jeanne Mačiukas) (ماتوري) وهما من أصول ليتوانية، كانت تجمعهما علاقة ودّية.
- 23- Pour plus de renseignements sur cette période de la carrière d'A. J. Greimas, voir l'auteur. «A. J. Greimas (1917-1992) : Commemorative Essay», *Semiotica* 105. 3-4

ما قبل القول - أ. ج. غريماس واللسانيات الفرنسية

- (1995), p. 219-221, trad. espagnole «Ensayo conmemorativo. A. J. Greimas (1917-1992)», Escritos (Puebla, Mexico) 10 (janvier -décembre 1994), p. 165-167. Pour la méthodologie que tentèrent d'élaborer les deux lexicologues, outre les manifestes cités et le livre ultérieur de Matoré, La méthode en lexicologie. Le domaine français, 1953, nouv. éd. Paris, Didier, 1973, on peut consulter notamment l'article de G. Matoré et d'A. J. Greimas, «La naissance du "génie" au XVIII^{ème} siècle. Etude lexicologique», Le français moderne 25 (1957), p. 256-272, qui nous renseigne sur le projet principal qu'ils entreprirent ensemble, et où devait sans doute trouver place l'analyse manquée d'A. J. Greimas.
24. Outre les contributions de données étymologiques parues dans Le français moderne sous les titres de «Notes lexicologiques» et de «Datations nouvelles» (v. la bibliographie d'A. J. Greimas, p. 411), cf. les croquis d'histoire du vocabulaire réunie dans «Remarques pour servir à l'histoire des mots», Le français moderne 24 (1956), p. 103-108, et aussi l'apologie pour une nouvelle méthodologie historique en linguistique, qui s'appuierait tant sur les Annales que sur le Cours de linguistique générale, que l'on trouve dans «Histoire et linguistique», Annales 1 (1958), p. 110-114. Trois ans plus tard, le plan de travail que A. J. Greimas proposa pour le Centre pour l'étude du vocabulaire français (CEVF) qu'animait B. Quemada à Besançon consacre autant de pages aux procédures de la linguistique diachronique qu'à celles de la linguistique synchronique (le plan fut publié sous le titre de «Les problèmes de la description mécanographique», Cahiers de lexicologie 1 (1959), p. 47-75).
25. بخصوص الطابع السوسيوولوجي للسان واللسانيات حسب "غريماس" في تلك الحقبة، انظر أيضا تدخله المثير في :
«Pour une sociologie du langage», Arguments 1 (1956-1957), p. 16-19»,
وقد اتخذ غريماس من خلال هذا التدخل موقفا في النقاش الذي حرك إدانة ستالين للإيديولوجيات اللسانية لـ "مار" (Marr). إن كتاب La méthode en lexicologie لـ "جورج ماتوري" سبق وأن حدد دلالة الألفاظ على النحو الآتي : "شعبة سوسيوولوجية تستعمل المادة اللسانية وهي الكلمات" (المرجع السابق، ص. 50).
- 25- إن الإحاطة بالحدث اللساني-كباقي الأحداث الاجتماعية أو التاريخية الأخرى- هي في غاية الصعوبة... ويفترض تحديده إعداد نظرية في اللغة :
- A.J. Greimas, «Pour une sociologie du langage», op. cit., p 18.
- Cf. Louis Hjelmslev, Prolégomènes à une théorie du langage, 1943, trad. américaine 1953, trad. française. Paris, Minuit, 1968-1971
- 27- «Analyse du contenu. Comment définir les indéfinis? (Essai de description sémantique)», Etudes de linguistique appliquée 2 (1963), p. 110-125.

- 28.- R. Jakobson, «Shifters, Verbal Categories, and the Russian Verb», contribution to the project : Description and Analysis of Contemporary Standard Russian, Cambridge, MA, Department of Slavic Languages and Literatures, Harvard University, 1957.
- 29- ستسهم مثل هذه التحاليل في البحوث اللسانية بالحاسوب التي اضطلع بها مركز دراسة المفردات الفرنسية الذي ينشطه "ب. كيمادا".
- 30- V. Brondal, «Omnis et totus : analyse et étymologie», in Essais de linguistique générale, Copenhagen, Munksgaard, 1943, p. 25-32 ; pour l'approche, cf. Théorie des prépositions. Introduction à une sémantique rationnelle, 1940, nouv. éd. Copenhagen, Munksgaard, 1950.
- 31- تتصرف الدراسة حول النكرات إلى "البحث عن الوحدات المعنوية الصغرى المكونة المتخفية"، كما يقال، تحت الكلمات التي لا تشكل إلا تجليات بنيات الدلالة المتمظهرة على صعيد الكلام". تدمج الدلالية البنيوية (Sémantique structurale) (المرجع السابق، ص. 25-27) ماهية المضمون وشكل المضمون في حقل الدلالية اللسانية؛ قارن ص. 55-57 نقده "للقوالب" (ج. دوران (G. Durand) الذي ينتصر "للسيمات" المحددة بثبات بوصفها كليات (افتراضية). في صهرها البنية الدلالية الصغرى والنموذج التأسيسي للبنيوية الدلالية في نموذج واحد، فإن "مبادئ في النحو السردى" (1969) «Eléments d'une grammaire narrative» تموضع السردية والمضمون التقريرى للنص في هذا الصعيد نفسه المنخرط في الكليات :
- (L'homme 9.3, p. 71-92, repris in Du sens. Essais sémiotiques, Paris, Le Seuil, 1970, p. 157-183).
- 32- Sémantique structurale, op. cit., et Du sens, op. cit.,
- في الوقت الذي يبتعد فيه "غريماس" عن التاريخانية التي وسمت أعماله السابقة، فإنه يعود إلى رفض العلامة التي طبعت سلفا "الموضوعة في 1830" مع هذا الاختلاف الذي يمثل في البنيات الخطائية للدلالة التي تحل محل "أشياء" الحياة الاجتماعية.
- 33- M. Arrivé, «Encore les indéfinis (à propos d'un articles récent)», Le français moderne 2 (1965), p. 97-108.
- 34- Voir par exemple, Irene Heim, The Semantics of Definite and Indefinite Noun Phrases, New York, Garland, 1988 ; cf. l'auteur, «Linguistic Semantics for Literature and the Human Sciences Today», Semiotica 124. 1-2 (avril 1999).
- 35- B. Pottier, «Vers une linguistique moderne» Travaux de linguistique et de littérature (1964) 2, p. 107-138, et Linguistique générale. Théorie et description, Paris, Klincksieck 1974 ; E. Coseriu, «Pour une sémantique diachronique structurale», Travaux de linguistique et de littérature (1964) 2, p. 139-186, et «Les structures

- lexématiques», Zeitschrift für Französisch Sprache und Literatur, nouv. série 1 (1968), p. 3-16.
- 36- A. J. Greimas lui-même en fournit quelques éléments dans «A. J. Greimas mis à la question», in Sémiotique en jeu. A partir et autour de l'œuvre d'A. J. Greimas, Actes de la décade de Cerisy, Cerisy-la-Salle, 4-14 août 1983, Michel Arrivé et Jean-Claude Coquet (dir.), Amsterdam, Benjamin, et Paris, Hadés, p. 301-330. Voir aussi J. -Cl. Coquet, «Eléments de bio-bibliographie», in Exigences et perspectives de la sémiotique. Recueil d'hommages pour Algirdas Julien Greimas, Herman Parret et Hans Georg Ruprecht (dir.), Amsterdam, Benjamins, 1985, t. 1, p. LIII-LXXXV; cf. aussi l'auteur, «A. J. Greimas (1917-1992) : Commemorative Essay», op. cit. Pour une bonne discussion de la naissance et du développement de la sémiotique inspirée d'A. J. Greimas, voir le livre passionnant d'A. Hénault, L'histoire de la sémiotique, Paris, PUF, 1992, p. 102-119.
- 37- F. Rastier, Sémantique interprétative, Paris, PUF, 1987, et Sens et textualité, Paris, Hachette, 1989 ; J. Picoche, Structures sémantiques du lexique français, Paris, Nathan, 1986.
- 38- Maupassant. La sémiotique du texte. Exercices pratiques, Paris, Le Seuil, 1976, et Du sens Essais sémiotiques II, Paris, Le Seuil, 1983; voir par exemple dans ce dernier l'article «De la colère. Etude de sémantique lexicale», p. 225-246.
- 39- طبع المعجمان في باريس بدار لاروس، الأول في 1968، والثاني المحرر بالتسيق مع "تيريزا كين" (Teresa Keane)، في 1991.
- 40- Sémiotique. Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, en collaboration avec Joseph Courtés, Paris, Hachette, 2 vol., 1979 et 1986.
- استقر "أ. ج. غريماس" على شكل المعجم بعد أن فشل في مشروع عرض وضع النظرية السيميائية بطريقة متواصلة.
- 41- لنفكر مثلاً في إسهامه في العدد الشهير من Communications المخصص للتحليل البنيوي للحكاية :
- (« Eléments pour une théorie de l'interprétation du récit mythique », Communications 8 (1966), p.28-59, repris dans Du sens, op. cit, p. 185-230).
- وفي كتابه المخصص للحكايات التقليدية الليتوانية :
- (Des dieux et des hommes. Etude de mythologie lituanienne, Paris, PUF, 1985)
- أو في الاقتراحات النظرية الواردة في السيميائية والعلوم الاجتماعية :
- Sémiotique et sciences sociales (sociosémiotique, ethnosémiotique, etc; Paris, Le Seuil, 1976.)
- 42- A. J. Greimas, De l'imperfection, Périgueux, Fanlac, 1987, 13-22, p. 71-73, 86-88, 93-98.

- 43- Cf. Michel Bréal, *Essai de sémantique. Science des significations*, Paris, Hachette, 1897; Antoine Meillet. «Comment les mots changent de sens», *L'année sociologique* 9 (1906), p. 1-37 ; repris in *Linguistique historique et linguistique générale*, t. 1, Paris, Champion, 1926, p. 230-271 ; et Arsène Darmesteter, *La vie des mots étudiée dans leurs significations*, 1887, nouv. éd. Paris Champ Libre, 1979.
- 44- Voir A. J. Greimas, ici même, p. I, 344 ; cf ; *La vie des mots étudiée dans leurs significations*, livre de sémantique historique d'A. Darmesteter, op. cit. ; voir aussi Maurice Schöne, *Vie et mort des mots*, Paris, PUF, 1947, et Raoul de Thomasson, *Naissance et vicissitudes de trois cents mots et locutions. Essai de sémantique*, Paris, Delagrave, 1935.
- 45- Marcel Cressot, *La phrase et le vocabulaire de J. K. Huysmans*, op. cit. ; G. Matoré, *Le vocabulaire de la prose littéraire*, op. cit. ; cf la thèse de M. Fuchs sur les Goncourt (1912) et les thèses de J. G. Cahen (1946) et J. -M. Gautier (1947). Cf. aussi les tomes de l' *Histoire de la langue française* rédigés par Charles Bruneau, Paris, Armand Colin, t. 12 : *L'époque romantique* (1948), et t. 13, partie I: *L'époque réaliste* (1953).
- 46- Le premier tome du Robert paraîtra en 1953 et le projet qui aboutira au Trésor de la langue française sera lancé en 1957.
- 47- A. J. Greimas et G. Matoré, « La méthode en lexicologie », op. cit. ; p. 413-414, cf. p. 419 et « la méthode en lexicologie II » . op. cit., p. 208; G. Matoré, *La méthode en lexicologie*, op. cit., p. 95, n. 1, et p 96-97 ; B. Quemada, *Introduction à l'étude du vocabulaire médical, 1600-1710* , Besançon, Faculté des lettres, 1955, p. 8 , p 83-84 ; Frédéric Deloffre, compte rendu de B. Quémada, *Introduction, Le français moderne* 26 (1957), p. 74-75. Cf. déjà A. Meillet, «Comment les mots changent de sens», op. cit., et sa préface au dictionnaire étymologique de O. Bloch et W. Von Wartburg, texte de 1932 réuni in *Linguistique historique, linguistique générale*, 2e éd., t. 2, Paris, Klincksieck, 1936, p. 150-151.
- 48- B. Quemada, *Introduction à l'étude du vocabulaire médical*, op. cit., p. 69-82.
- 49- Voir par exemple A. J. Greimas et G. Matoré, «Notes lexicologiques», *Le français moderne* 15 (1947), p. 129-142, et d'A. J. Greimas seul, dans la même revue, «Notes lexicologiques», n° 17 (1949), p. 281-306, «Nouvelles datations», n° 20 (1952), p. 298-308, et sous le même titre, n°23 (1955), p. 137-142 ; cf. leurs contributions à *Matériaux pour l'histoire du vocabulaire français. Datations et documents lexicographiques*, B. Quemada et P. J. Wexler (dir.), Paris, Belles Lettres, 1959-1971 .
- 50- F. Mac Kenzie, *Les relations de l'Angleterre et de la France d'après le vocabulaire*, 2 vol., Paris, Droz, 1939 (doctorat d'Etat ès lettres, Université de Paris, 1946), et G. Matoré, *Le vocabulaire de la prose littéraire*, op. cit. ; cf. le mémoire de maîtrise

- d'Uren Ormond (1946) sur le vocabulaire du cinéma et les thèses de M. Frey (1925), de T. Ranft (1908) et de F. Cohin (1903). K. J. Hollyman, Le développement du vocabulaire féodal en France pendant le haut Moyen Age. Etude sémantique, Genève, Droz, et Paris, Minard, 1957 (doctorat ès lettres Université de Paris, 1950), et Stewart Scoones, Les noms de quelques officiers féodaux ; Des origines jusqu'à la fin du XIIème siècle. Etude sémantique, Paris, Klincksieck, 1976 (doctorat ès lettres, Université de Paris, 1951).
- 51- Peter J. Wexler, La formation du vocabulaire des chemins de fer, op. cit. ; cf. L. Guilbert, La formation du vocabulaire de l'aviation, Paris, Larousse, 1965.
- 52- La critique du statu quo se lit dans «La méthode en lexicologie », 1948, op. cit., prise de position polémique publiée par G. Matoré et A. J. Greimas pendant que celui-ci achevait ses thèses, qui citent l'article, voir par exemple ici même, p. 7, n. 8.
- 53- Pour ces termes, voir l'index de La mode en 1830 ici même. '
- 54- A. J. Greimas, ici même, p. 132,133 et cf. p. 6 ; on a vu que La vie des mots étudiée dans leurs significations est le titre d'un livre de sémantique historique d'A. Darmesteter, op. cit. Cf. aussi M. Schöne, Vie et mort des mots, op. cit., et R. Thomasson, Naissance et vicissitudes de trois cents mots et locutions, op. cit.
- 55- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, 1916, édition critique Paris, Payot, 1972, p. 16-19.
- 56- Opposition de fond qu'un condisciple à la Sorbonne, Hollyman, comprit bien. K. J. Hollyman, Le développement du vocabulaire féodal, op. cit., p. 11-15.
- 57- Voir ici même, p. 296, et A. J. Greimas et G. Matoré, «La méthode en lexicologie», 1948, op. cit., p. 417 ; cf. G. Matoré, Le vocabulaire et la société, op. cit., p. 13-14, et Matoré, La méthode en lexicologie, op. cit., p. 65-67.
- 58- La thèse complémentaire date l'apparition de ces mots entre 1824 et 1829, et remarque que les brevets correspondants furent pris sous la Restauration, ici même, p. 262 et notes.
- 59- Ibid., p. 284-285.
- 60- F. Brunot, «Les mots témoins de l'histoire», in institut de France, séance publique annuelle de l'Académie des inscriptions et belles lettres du vendredi 23 novembre 1928, t. II, n°22 bis, Paris, Firmin Didot, 1928, 22 p. Cf. G. Matoré, le vocabulaire et la société, op. cit., p. 13-14.
- 61- V. F. Brunot, Histoire de la langue française, op. cit., t. 2 : La Renaissance (1906), p. 161-241, et t. 4, partie 1: La langue classique (1912, nouv. éd. 1947), p. 219-622.

- 62- A. Meillet. «Comment les mots changent de sens», op. cit.
- 63- Ici même, p.7-8 et n. 12 ; cf. J. Trier, Der Deutsche Wortschatz im Sinnbezirk des Verstandes (Die Geschichte eines Sprachlichen Feldes), Heidelberg, Winter, 2 vol., 1931.
- 64- W. VON. Wartburg, Problèmes et méthodes de la linguistique, Paris, PUF, 1946; cf. A. J. Greimas et G. Matoré, «La méthode en lexicologie», 1948, op. cit., p. 417.
- 65- A. J. Greimas, ici même, p. 19.
- 66- Ibid., p. 71.

